

تعزية أصحاب المصائب

من سعيد بن علي بن وهف القحطاني إلى فضيلة الشيخ أحمد الحواشي وزوجته أم أنس وتسليم وجميع أسرته.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد بلغني إحراق جامعكم ومكتبكم وبيتكم، ووفاة ولديكم، فالمني كثيراً، وقد اتصلت بكم مع الناس وعزيتكم، ولكن هذه تعزية خاصة.

وعزاؤكم قول الله تعالى: ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾⁽¹⁾، وقوله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾⁽²⁾، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ سَاءَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾.

فالله أسأل أن يُحسن عزاءكم، وأن يجمعكم ومن فقدتم في الفردوس الأعلى من الجنة، واعلموا ((أن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فاصبروا واحتسبوا))⁽⁴⁾، وأبشروا بما وعد الله عباده المؤمنين الصابرين، وإليكم ما تطمئنُّ به قلوبكم، ويبردُ حرَّ مصيبتكم العظيمة، ويشرح صدوركم، ويذهب همومكم وغمومكم من كلام ربكم الكريم، الحكيم، الرؤوف، الرحيم، الذي هو أرحم بالعباد من والديهم، ومن كلام نبيكم وقودتكم وحببيكم محمد ﷺ:

1- صلوات الله ورحمته وهدايته للصابرين: قال الله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾⁽⁵⁾.

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ أي: بشرهم بأنهم يُوفون أجورهم بغير حساب، فالصابرون هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾، وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن، أو كليهما، كما تقدم في الآيات، ومن ذلك موت الأحباب، والأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه، ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي مملوكون لله، مُدَبَّرُونَ تحت أمره، وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأولادنا، وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء فقد تصرف أرحم الراحمين بمماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد: علمه بأن وقوع البليَّة من المالك الحكيم الذي هو أرحم بعبده من نفسه ووالدته، فيوجب له ذلك الرضا عن الله، والشكر له على تدبيره؛ لِمَا هو خير لعبده وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا مملوكون لله فإننا إليه راجعون يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفراً عنده، وإن جزعنا وسخطنا لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله وراجع إليه من أقوى أسباب الصبر ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الموصوفون بالصبر المذكور ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي ثناء من الله عليهم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ عظيمة، ومن رحمته إياهم أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ الذين عرفوا

(1) سورة العنكبوت، الآية 1-3.

(2) سورة محمد، الآية: 31.

(3) سورة العنكبوت، الآية: 10.

(4) انظر: مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، برقم 923.

(5) سورة البقرة، الآيات: 155 - 157.

الحق، وهو في هذا الموضوع علمهم بأنهم لله، وأنهم إليه راجعون، وعملوا به، وهو هنا: صبرهم لله⁽¹⁾. قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: ((نعم العدلان ونعمة العلاوة ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾، فهذان العدلان، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾، فهذه العلاوة، وهي ما توضع بين العدلين، وهي زيادة في الحمل، فكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضًا))⁽²⁾.

2- الاستعانة بالصبر من أسباب السعادة، قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾⁽³⁾.

3- محبة الله للصابرين، قال ﷺ: ﴿اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾⁽⁴⁾.

4- معية الله مع الصابرين: قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁽⁵⁾.

5- استحقاق دخول الجنة لمن صبر، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً

وَسَلَامًا﴾⁽⁶⁾.

6- الصابرون يُوقَفُونَ أجرهم بغير حساب، فلا يُوزن لهم، ولا يُكَال لهم، إنما يُغْرَف لهم غَرْفًا، وبدون عَدِّ

ولا حدٍّ، ولا مقدار⁽⁷⁾، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁽⁸⁾.

7- جميع المصائب مكتوبة في اللوح المحفوظ، من قبل أن يخلق الله الخليقة ويبرأ النسمة، وهذا أمر عظيم

لا تُحِيط به العقول؛ بل تذهل عنده أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير⁽⁹⁾، قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنُوا عَلَى الْمَصَائِبِ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ بِالْأَعْيُنِ وَأَلْفُ تُحْسِنُونَ وَاللَّهُ يَخْتَارُ مَا يُؤْتِيهِ اللَّهُ لِيُخَيِّرَ لِمَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾⁽¹⁰⁾.

8- ما أصاب من مصيبة في النفس، والمال، والولد، والأحباب، ونحوهم إلا بقضاء الله وقدره، قد سبق بذلك

علمه، وجرى به قلمه، ونفذت به مشيئته، واقتضته حكمته، فإذا آمن العبد أنها من عند الله فرضي بذلك وسلم

لأمره، فله الثواب الجزيل، والأجر الجميل، في الدنيا والآخرة، ويهدي الله قلبه فيطمئن ولا يزعج عند المصائب،

ويرزقه الله الثبات عند ورودها، والقيام بموجب الصبر فيحصل له بذلك ثواب عاجل، مع ما يدخره الله له يوم

الجزاء من الثواب⁽¹¹⁾، قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽¹²⁾، قال علقمة عن عبد الله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ هو الرجل الذي إذا أصابته مصيبة

رضي بها وعرف أنها من الله))⁽¹³⁾.

(1) تيسير الكريم الرحمن للعلامة السعدي، ص 76، وتفسير ابن كثير، ص 135.

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص 135، وهو في صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الصبر عند الصدمة الأولى، الباب رقم 42، قبل الحديث رقم 1302.

(3) سورة البقرة، الآية: 45.

(4) سورة آل عمران، الآية: 146.

(5) سورة البقرة، الآية: 153.

(6) سورة الفرقان، الآية: 75.

(7) تفسير ابن كثير، ص 1511، وتفسير السعدي، ص 721.

(8) سورة الزمر، الآية: 10.

(9) تفسير ابن كثير، ص 1313، وتفسير السعدي، ص 842.

(10) سورة الحديد، الآيتان: 22 - 23.

(11) تفسير السعدي، ص 867.

(12) سورة التغابن، الآية: 11.

(13) البخاري، كتاب التفسير، سورة التغابن، بعد الحديث رقم 4907.

وما أحسن ما قال ابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله تعالى:

سبحان من يبتلي أناساً أحببهم والبلاء عطاءً
فاصبر لبلوى وكن راضياً فإن هذا هو الدواء
سلم إلى الله ما قضاها ويفعل الله ما يشاء⁽¹⁾

9- الله تعالى يجزي الصابرين بأحسن ما كانوا يعملون، قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنْ جَزِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قَسَمَ من الرب تعالى مؤكِّد باللام أنه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم: الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبع مائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة؛ فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، أي ويتجاوز عن سيئاتهم⁽²⁾، والله ذرُّ أبي يعلى الموصلي القائل:

إني رأيت وفي الأيام تجربةً للصبر عاقبةً محمودةً الأثر
وقل من جد في أمر يحاوله واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر⁽³⁾

10- ما يُقال عند المصيبة والجزاء والثواب والأجر العظيم على ذلك، فعن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما من عبد نُصِيبه مصيبةً فيقول: إنا لله، وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتى، واخلف لي خيراً منها، إلا أجره الله في مصيبتيه، وأخلف له خيراً منها)) قالت أم سلمة، فلما توفي أبو سلمة ﷺ قلت كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله ﷺ، وفي لفظ: ((ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: ((إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها...)) (الحديث))⁽⁴⁾. وفي لفظ ابن ماجه: ((إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك احتسب مصيبتى، فأجرني فيها، وعوضني خيراً منها))⁽⁵⁾.

وحديث أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ((إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد))⁽⁶⁾.

قال ابن ناصر الدين رحمه الله تعالى:

يجري القضاء وفيه الخير نافلة لمؤمن واثق بالله لا لاهي
إن جاءه فرح أو نابه ترح في الحالتين يقول الحمد لله⁽⁷⁾

11- الأجر العظيم والثواب الكثير والفوز بالجنة لمن مات حبيبه المصافي فصبر، وطلب الأجر من الله تعالى، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: ((ما لعبدي المؤمن عندي جزاءً إذا قبضت صفيته من

(1) برد الأكباد عند فقد الأولاد، للحافظ المحدث أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي (777-842هـ)، ص 12.

(2) تفسير ابن كثير، ص 753، وتفسير السعدي، ص 449.

(3) انظر: الصبر الجميل لسليم الهلالي، 15-16.

(4) مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، برقم 918.

(5) ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة، برقم 1598، وصححه الألباني، في صحيح ابن ماجه، 267/1، وأصله في صحيح مسلم.

(6) الترمذي، برقم 1021، ويأتي تخريجه.

(7) برد الأكباد عند فقد الأولاد للحافظ محمد بن عبد الله بن ناصر الدين، ص 17.

أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة⁽¹⁾، قوله: ((جزاء)) أي ثواب وقوله: ((إذا قبضت صفيته)) وهو الحبيب المصافي: كالولد، والأخ، وكل ما يحبه الإنسان، والمراد بالقبض قبض روحه وهو الموت.. وقوله: ((ثم احتسبه إلا الجنة))، والمراد: صبر على فقده راجياً من الله الأجر والثواب على ذلك. والاحتساب: طلب الأجر من الله تعالى خالصاً. ووجه الدلالة من هذا الحديث ((أن الصفيّ أعمّ من أن يكون ولدًا أم غيره، وقد أفرد ورتّب الثواب بالجنة لمن مات له فاحتسبه))⁽²⁾.

وسمعت شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله يقول: ((صفيه: حبيبه: كولده، أو أبيه، أو أمه، أو زوجته))⁽³⁾.
12 - أشدّ الناس بلاءً: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل؛ لحديث مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: ((الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل: يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلَبًا اشتدَّ بلاءه، وإن كان في دينه رقةً ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة))⁽⁴⁾.

أكثر وأصعب بلاء: أي محنة ومصيبة؛ لأنهم لو لم يُبتلوا لثوّم فيهم الألوهية؛ وليتوهن على الأمة الصبر على البلية؛ ولأن من كان أشد بلاء كان أشد تضرّعًا، والتجاءً إلى الله تعالى ((ثم الأمثل فالأمثل)) أي الفضلاء، والأشرف فالأشرف، والأعلى فالأعلى رتبة ومنزلة، فكل من كان أقرب إلى الله يكون بلاءه أشد؛ ليكون ثوابه أكثر ((فإن كان في دينه صلَبًا)) أي قويًا شديدًا ((اشتد بلاءه)) أي كميّة وكيفيّة ((فما يبرح البلاء)) أي ما يفارق⁽⁵⁾.
ومما يزيد ذلك وضوحًا وتفسيرًا، حديث أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: ((إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل، فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها))⁽⁶⁾.

13 - من كان بلاءه أكثر فتوابه وجزاؤه أعظم وأكمل؛ لحديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ((إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط))⁽⁷⁾.
والمقصود الحث على الصبر على البلاء بعد وقوعه لا الترغيب في طلبه للنهي عنه، فمن رضي بما ابتلاه الله به فله الرضى منه تعالى وجزيل الثواب، ومن سخط: أي كره بلاء الله وفزع ولم يرض بقضائه تعالى، فله السخط منه تعالى وأليم العذاب، ومن يعمل سوءًا يُجز به⁽⁸⁾.
ولا شك أن الصبر ضياء كما قال النبي صلى الله عليه وآله: ((والصبر ضياء))⁽⁹⁾.

والضياء: هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة وإحراق كضياء الشمس، بخلاف القمر، فإنه نور محض فيه

(1) البخاري، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يبتغي به وجه الله، برقم 6424.

(2) فتح الباري، لابن حجر، 11/ 242 - 243.

(3) سمعته أثناء تقريره على صحيح البخاري، الحديث رقم 6424، وذلك في فجر الأحد الموافق 14/10/1419 هـ في الجامع الكبير بالرياض.

(4) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم 2398، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، برقم 4023، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، 2/565، وفي صحيح ابن ماجه، 2/371، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 143.

(5) تحفة الأحوذى للمباركفوري، 7/78 - 79.

(6) أبو يعلى، وابن حبان، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 1599.

(7) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم 2396، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، برقم 4031، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، 2/564، وفي صحيح ابن ماجه، 2/373، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 146.

(8) تحفة الأحوذى للمباركفوري، 7/77.

(9) مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، برقم 223.

إشراق بغير إحراق، ولَمَّا كان الصبر شاقًّا على النفوس يحتاج إلى مجاهدة النفس، وحبسها، وكفها عما تهواه، كان ضياءً⁽¹⁾؛ ولهذا - والله أعلم - يُوقى الصابرون أجرهم بغير حساب، بفضل الله ﷻ.

14 - ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة حتى يلتقى الله وما عليه خطيئة؛ لأنها زالت بسبب البلاء⁽²⁾؛ لحديث أبي

هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة: في نفسه، وماله، وولده، حتى يلتقى الله وما عليه خطيئة))⁽³⁾.

15 - فضل من يموت له ولد فيحتسبه، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما من الناس مسلم

يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث⁽⁴⁾ إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم))⁽⁵⁾.
والولد يشمل الذكر والأنثى.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما تعدُّون الرقوب⁽⁶⁾ فيكم))؟ قال: قلنا: الذي لا يُولد له. قال: ((ليس ذاك بالرقوب، ولكنه الرجل الذي لم يقدِّم من ولده شيئاً))⁽⁷⁾.

16 - من مات له ثلاثة من الولد كانوا له حجاباً من النار؛ ودخل الجنة؛ لحديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ:

((من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كان له حجاباً من النار أو دخل الجنة))⁽⁸⁾. وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لامرأة مات لها ثلاثة من الولد: ((لقد احتظرت بحظار شديد⁽⁹⁾ من النار))⁽¹⁰⁾؛ ولحديث عتبة بن عبد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد، لم يبلغوا الحنث إلا تلقَّوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل))⁽¹¹⁾.

17 - من قدَّم اثنين من أولاده دخل الجنة؛ لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لנסوة من الأنصار:

((لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحسبه إلا دخلت الجنة))، فقالت امرأة منهن: أو اثنين يا رسول الله؟ قال: ((أو اثنين))⁽¹²⁾، قال النووي رحمه الله: وقد جاء في غير مسلم ((وواحد))⁽¹³⁾.

وعن أبي صالح ذكوان عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله،

(1) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، 2/24، 25.

(2) تحفة الأحوذى للمباركفوري، 80/7.

(3) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم 2399، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، 565/2، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 2280.

(4) لم يبلغوا الحنث: أي لم يبلغوا سن التكليف الذي يكتب فيه الحنث وهو الإثم. شرح النووي على صحيح مسلم، 420/16.

(5) البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين، برقم 1381.

(6) أصل الرقوب في كلام العرب الذي لا يعيش له ولد.

(7) مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، برقم 2608.

(8) البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين، قبل الحديث رقم 1381، تكلم الحافظ ابن حجر في فتح الباري، 3/245 عن وصله، وقال: ((قوله: كان له)) كذا للأكثر: أي كان قولهم له حجاباً، وللكشميهني: ((كانوا)) أي الأولاد.

(9) احتظرت: أي امتنعت بمانع وثيق، والحظار ما يجعل حول البستان وغيره من قضبان وغيرها كالحائط، شرح النووي على صحيح مسلم، 420/16 - 421.

(10) مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، برقم 2636.

(11) ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب في ثواب من أصيب بولده برقم 1603، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، 46/2.

(12) مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، برقم 151 (2632).

(13) شرح النووي على صحيح مسلم، 420/16، وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري 3/119 جميع الأحاديث التي فيها زيادة واحد وتكلم عليها كلاماً نفيساً، ثم أشار إلى أن الذي يستدل به على ذلك حديث: ((ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة))، قال: وهذا يدخل فيه الواحد، فتح الباري، 3/119، و243/11.

ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تُعلّمنا مما علّمك الله، قال: ((اجتمعن يوم كذا وكذا))، فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ، فعلمهن مما علمه الله قال: ((ما منكن من امرأة تقدّم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجاباً من النار))، فقالت امرأة: واثنين، واثنين، واثنين؟ فقال رسول الله ﷺ: ((واثنين، واثنين))⁽¹⁾.

18- من مات له واحد من أولاده فاحتسبه وصبر دخل الجنة؛ لحديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: ((ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة))⁽²⁾. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((وهذا يدخل فيه الواحد فما فوقه وهو أصح ما ورد في ذلك، وقوله: ((فاحتسب)) أي صبر راضياً بقضاء الله راجياً فضله))⁽³⁾، وذكر ابن حجر رحمه الله أنه يدخل في ذلك حديث قرّة بن إياس، وسيأتي في الحديث الآتي⁽⁴⁾.

وسيأتي أيضاً حديث أبي موسى الأشعري ؓ الذي فيه قوله ﷺ: ((ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمّوه بيت الحمد))، فهو يدل على أن من مات له ولد واحد دخل الجنة⁽⁵⁾.

19- من مات له ولد فاحتسبه وجده ينتظره عند باب الجنة، بفضل الله ﷻ ورحمته؛ لحديث قرّة بن إياس ؓ أن رجلاً كان يأتي النبي ﷺ ومعه ابن له، فقال له النبي ﷺ: ((أتجبه))؟ فقال: يا رسول الله أحبك الله كما أحبه، ففقدته النبي ﷺ، فقال: ((ما فعل ابن فلان))؟ قالوا: يا رسول الله مات، فقال النبي ﷺ لأبيه: ((أما تحب أن لا تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك؟)) فقال رجل: يا رسول الله: أله خاصة أو لكُنّا؟ فقال: ((بل ليكنكم))، ولفظ النسائي: ((ما يسرك أن لا تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته عنده يسعى يفتح لك؟))⁽⁶⁾.

20- المؤمن إذا مات ولده سواء كان ذكراً أو أنثى وصبر واحتسب وحمد الله على تدييره وقضائه بنى الله له بيتاً في الجنة وسماه بيت الحمد؛ لحديث أبي موسى الأشعري ؓ أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمّوه بيت الحمد))⁽⁷⁾.

وعن أبي سلمى راعي رسول الله ﷺ يرفعه: ((بجّ بجّ - وأشار بيده لخمس - ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والولد الصالح يتوفى للمسلم فيحتسبه))⁽⁸⁾.

21- السَّقَطُ يَجْرُ أُمُّهُ بِسَّرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ؛ لحديث معاذ بن جبل ؓ عن النبي ﷺ: قال: ((والذي نفسي بيده إن

(1) متفق عليه: البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسبه، برقم 101، و1249، و7310، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، برقم 2633.

(2) البخاري، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يُبتغى به وجه الله، برقم 6424.

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 119/3، ولابن حجر كلام يؤيد هذا في شرحه للحديث رقم 6424، في فتح الباري، 243/11.

(4) فتح الباري، 243/11.

(5) الترمذي، برقم 1021، وسيأتي.

(6) النسائي، كتاب الجنائز، باب الأمر باحتساب الأجر، برقم 1871، رقم الباب 22، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، 243/11: ((أخرجه أحمد، والنسائي، وسنده على شرط الصحيح، وقد صححه ابن حبان، والحاكم))، وصححه الألباني في صحيح النسائي، 404/2.

(7) الترمذي، كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب، برقم 1021، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، 520/1، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 1408.

(8) أخرجه ابن سعد في الطبقات، 7/433، وابن حبان، برقم 2328، والحاكم، 511/1-512، وقال: ((صحيح الإسناد))، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الأحاديث الصحيحة، برقم 1204.

السقط ليجرُّ أمَّهُ بِسَرِّهِ إِلَى الْجَنَّةِ إِذَا احْتَسَبْتَهُ))⁽¹⁾.

22 - ومما يشرح صدر المسلم ويبرِّد حرَّ مصيبتته أن أولاد المسلمين في الجنة، قال الإمام النووي رحمه الله بعد أن ساق الأحاديث في فضل من يموت له ولد فيحتسبه: ((وفي هذه الأحاديث دليل على كون أطفال المسلمين في الجنة، وقد نقل جماعة فيهم إجماع المسلمين))، ونقل عن المازري قوله: ((ونقل جماعة الإجماع في كونهم من أهل الجنة قطعاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ (2) (3).

ويدل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أولاد المسلمين في الجنة، ((وأن أحدهم يلقي أباه فيأخذ بثوبه أو بيده فلا يتركه حتى يدخله الله وأباه، أو قال: أبويه الجنة))⁽⁴⁾.

وسمعت شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله يقول: ((أجمع المسلمون على أن أولاد المسلمين في الجنة، أما أولاد الكفار ففيهم خلاف، وأصح ما قيل فيهم أنهم يُمتحنون يوم القيامة، أو هم من أهل الجنة بدون امتحان، وهو أصح))⁽⁵⁾. وهو الصواب⁽⁶⁾؛ لحديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في الحديث الطويل وفيه: ((وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة))، فقال بعض المسلمين: يا رسول الله: وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وأولاد المشركين))⁽⁷⁾.

23 - من تصبَّر ودرَّب نفسه على الصبر صَبَّرَهُ اللهُ وَأَعَانَهُ وَسَدَّدَهُ؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه: ((ومن يستعفف يُعَفِّهِ اللهُ، ومن يستغن يُغْنِهِ اللهُ، ومن يتصَبَّر يصبره اللهُ، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر))⁽⁸⁾.

24 - من أراد الله به خيراً أصابه بالمصائب؛ ليثيبه عليها⁽⁹⁾؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من يُرد الله به خيراً يُصب منه))⁽¹⁰⁾. وسمعت شيخنا عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله يقول: ((أي بالمصائب بأنواعها، وحتى يتذكَّر فيتوب، ويرجع إلى ربه))⁽¹¹⁾.

25 - أمر المؤمن كله خير في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء؛ لحديث صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراءٌ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءٌ صبر فكان خيراً له))⁽¹²⁾.

26 - المصيبة تحطّ الخطايا حطّاً كما تحطّ الشجرة ورقها؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله

(1) ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء فيمن أصيب بسقط، برقم 1609، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، 46/2.

(2) سورة الطور، الآية: 21.

(3) شرح النووي على صحيح مسلم، 421/16.

(4) مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد، فيحتسبه، برقم 2635.

(5) سمعته أثناء تقريره على صحيح البخاري، الحديث رقم 1381، و1382.

(6) انظر: فتح الباري لابن حجر، 246/3.

(7) البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا بعد صلاة الصبح، برقم 7047.

(8) متفق عليه: البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، برقم 1469، وكتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله، برقم 6470،

ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، برقم 1053.

(9) فتح الباري لابن حجر، 108/10.

(10) البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، برقم 5645.

(11) سمعته أثناء تقريره على صحيح البخاري، الحديث رقم 5645.

(12) مسلم، كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير، برقم 2999.

ﷺ: ((ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يُشاكها))⁽¹⁾.
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((ما من مسلم يُصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حطَّ الله به سيئاته كما تحطُّ الشجرة ورقها))⁽²⁾.

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((ما يُصيب المؤمن من نَصَبٍ، ولا وَصَبٍ، ولا همٍّ، ولا حزنٍ، ولا أذى، ولا غمٍّ حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها))⁽³⁾، وفي لفظ: ((ما يُصيب المؤمن من وَصَبٍ⁽⁴⁾، ولا نَصَبٍ⁽⁵⁾، ولا سَقَمٍ...)).

27- يجتهد المسلم في استكمال شروط الصبر التي إذا عمل بها المصاب المسلم حصل على الثواب العظيم، والأجر الجزيل، وتتلخص هذه الشروط في ثلاثة أمور:

الشرط الأول: الإخلاص لله ﷻ في الصبر؛ لقول الله ﷻ: ﴿يَعْلَمُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾، ولقوله ﷻ في صفات أصحاب العقول السليمة: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾⁽⁶⁾، وهذا هو الإخلاص في الصبر المبراً من شوائب الرياء وحفظ النفس.

الشرط الثاني: عدم شكوى الله تعالى إلى العباد؛ لأن ذلك ينافي الصبر ويخرجه إلى السخط والجنح؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((قال الله تعالى: إذا ابتليت عبدي المؤمن ولم يشكني إلى عواده أطلقته من إساري، ثم أبدلته لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، ثم يستأنف العمل))⁽⁷⁾.
ولله دُرُّ الشاعر الحكيم حيث قال:

وإذا عرتك بليّةً فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أعلم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم⁽⁸⁾

الشرط الثالث: أن يكون الصبر في أوانه، ولا يكون بعد انتهاء زمانه؛ لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: ((أتق الله واصبري)) [فقلت]: إليك عني فإنك لم تُصَبِّ بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي، فأنت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقلت: لم أعرفك، فقال: ((إنما الصبر عند الصدمة الأولى))⁽⁹⁾. أي الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر الجزيل؛ لكثرة المشقة فيه، وأصل الصدم الضرب في شيء صلب، ثم استعمل مجازاً في كل مكروه حصل بغتة⁽¹⁰⁾.

(1) متفق عليه: البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، برقم 5640، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه، برقم 49 (2572).

(2) مسلم، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه، برقم 2571.

(3) متفق عليه: البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، برقم 5641، 5642، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه، برقم 2573.

(4) الوصب: المرض.

(5) النصب: التعب.

(6) سورة الرعد، الآية: 22.

(7) الحاكم في المستدرک، 349/1 وقال: ((هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه))، ووافقه الذهبي.

(8) الفوائد لابن القيم، ص 165، وانظر: الصبر الجميل، لسليم الهلالي، ص 28.

(9) متفق عليه: البخاري، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، برقم 1283، ومسلم، كتاب الجنائز، باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى، برقم 15 (926).

(10) شرح النووي على صحيح مسلم، 481/6.

28- أمور لا تنافي الصبر ولا بأس بها، منها ما يأتي:

الأمر الأول: الشكوى إلى الله تعالى؛ فالتضرع إليه، ودعاؤه في أوقات الشدة عبادة عظيمة، فإن الله أخبر عن يعقوب بقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾⁽¹⁾.
وقال تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾⁽²⁾.
وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽³⁾.
وأيوب عليه الصلاة والسلام أخبر الله عنه بقوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾⁽⁴⁾.

وقال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾⁽⁵⁾، فإذا أصاب العبد مصيبةً فأنزلها بالله، وطلب كشفها منه فلا ينافي الصبر⁽⁶⁾.

الأمر الثاني: الحزن ودمع العين؛ فإن ذلك قد حصل لأكمل الخلق نبينا محمد بن عبد الله ﷺ؛ لحديث أنس رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين⁽⁷⁾ - وكان ظئراً⁽⁸⁾ لإبراهيم التيمي - فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه⁽⁹⁾، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذر فان⁽¹⁰⁾، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله⁽¹¹⁾؟ فقال: ((يا ابن عوف إنها رحمة)) ثم أتبعها بأخرى⁽¹²⁾ فقال: ((إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون))⁽¹³⁾.
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((ووقع في حديث عبد الرحمن بن عوف نفسه: فقلت يا رسول الله تبكي أولم تنه عن البكاء؟ وزاد فيه: ((إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نعمة هو ولعب ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة: خمش وجهه، وشق جيوب، ورثة شيطان)). قال: ((إنما هذا رحمة، ومن لا يرحم لا يرحم))⁽¹⁴⁾.

(1) سورة يوسف، الآية: 18.

(2) سورة يوسف، الآية: 83.

(3) سورة يوسف، الآية: 86.

(4) سورة الأنبياء، الآية: 83.

(5) سورة ص، الآية: 44.

(6) انظر: الصبر الجميل، لسليم الهلالي، ص 84.

(7) القين: الحداد، ويطلق على كل صانع، يقال: قان الشيء: إذا أصلحه. فتح الباري لابن حجر، 173/3.

(8) ظئراً: مرضعاً، وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة، وأصل الظئر: من ظأرت الناقة إذا عطفت على غير ولدها، فقيل ذلك للتي ترضع غير ولدها، وأطلق ذلك على زوجها؛ لأنه يشاركها في تربيته غالباً. وإبراهيم: ابن رسول الله ﷺ، فتح الباري لابن حجر، 173/3.

(9) يجود بنفسه: أي يخرجها ويدفعها كما يدفع الإنسان ماله. فتح الباري لابن حجر، 174/3.

(10) تذر فان: يجري دمعهما. فتح الباري لابن حجر، 174/3.

(11) وأنت يا رسول الله: أي الناس لا يصبرون على المصيبة وأنت تفعل كفعلهم، كأنه تعجب لذلك منه مع عهده منه أنه يحث على الصبر وينهي عن الجزع، فأجابه بقوله: ((إنها رحمة)): أي الحالة التي شاهدتها مني هي رقة القلب على الولد، لا ما توهمت من الجزع)) فتح الباري لابن حجر، 174/3.

(12) ثم أتبعها بأخرى: قيل: أتبع الدمعة بدمعة أخرى، وقيل: أتبع الكلمة الأولى المجللة وهي قوله: ((إنها رحمة)) بكلمة أخرى مفصلة وهي قوله: ((إن العين تدمع))، فتح الباري لابن حجر، 174/3.

(13) متفق عليه، البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: ((إننا بك لمحزونون))، برقم 1303، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، برقم 2315.

(14) فتح الباري لابن حجر، 174/3.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((هذا الحديث يفسر البكاء المباح، والحزن الجائز، وهو ما كان بدمع العين، ورقة القلب من غير سخط لأمر الله، وهو أبين شيء وقع في هذا المعنى، وفيه مشروعية تقبيل الولد وشمّه، ومشروعية الرضاع، وعبادة الصغير، والحضور عند المحتضر، ورحمة العيال، وجواز الإخبار عن الحزن، وإن كان الكتمان أولى، وفيه وقوع الخطاب للغير، وإرادة غيره بذلك، وكل منهما مأخوذ من مخاطبة النبي ﷺ ولده مع أنه في تلك الحالة لم يكن ممن يفهم الخطاب لوجهين: أحدهما: صغره، والثاني نزاعه. وإنما أراد بالخطاب غيره من الحاضرين إشارة إلى أن ذلك لم يدخل في نهيه السابق، وفيه جواز الاعتراض على من خالف فعله ظاهر قوله؛ ليظهر الفرق))⁽¹⁾.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((اشتكى سعد بن عباد شكوى له فأثاه النبي ﷺ يعود مع عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، ﷺ، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله⁽²⁾) فقال: ((قد قضى))؟ قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا، فقال: ((ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا⁽³⁾) - وأشار إلى لسانه - أو يرحم⁽⁴⁾)، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه))⁽⁵⁾، وكان عمر ﷺ يضرب فيه بالعصا، ويرمي بالحجارة، ويحجي بالتراب))⁽⁶⁾.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((في هذا إشعار بأن هذه القصة كانت بعد قصة إبراهيم ابن النبي ﷺ؛ لأن عبد الرحمن بن عوف كان معهم في هذه ولم يعترضه بمثل ما اعترض به هناك، فدل على أنه تقرّر عنده العلم بأن مجرد البكاء بدمع العين من غير زيادة على ذلك لا يضرب))⁽⁷⁾.

وفي حديث أسامة بن زيد ﷺ في قصة لصبي لإحدى بنات رسول الله ﷺ حينما قال النبي ﷺ لرسول ابنته: ((ارجع إليها فأخبرها: إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب))، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ وأقسمت عليه أن يحضر، فقام النبي ﷺ وقام معه سعد بن عباد، ومعاذ بن جبل، وأسامة معهم، وحينما رُفِع الصبي للنبي ﷺ وهو في النزاع، فاضت عيناه، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: ((هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء))⁽⁸⁾.

وقد روى أنس بن مالك ﷺ قال: ((شهدنا بنتاً لرسول الله ﷺ، قال: ورسول الله ﷺ جالس على القبر، قال: فرأيت عينيه تدمعان))⁽⁹⁾.

29- الأمور التي تعين على الصبر على المصيبة بفقد الأحباب كثيرة منها ما يأتي:

الأمر الأول: معرفة جزاء المصيبة وثوابها وهذا من أعظم العلاج الذي يُبرِّد حرارة المصيبة، وتقدمت الأدلة على ذلك.

(1) فتح الباري، لابن حجر، 3/174.

(2) في غاشية أهله: أي الذين يغشونه للخدمة وغيرها. فتح الباري لابن حجر، 3/175.

(3) ولكن يعذب بهذا: أي إن قال سوءاً. فتح الباري لابن حجر، 3/175.

(4) أو يرحم: أي إن قال خيراً. فتح الباري لابن حجر، 3/175.

(5) يعذب ببكاء أهله عليه: البكاء المحرم على الميت هو النوح، والندب بما ليس فيه، والبكاء المقرون بهما أو بأحدهما، شرح النووي على صحيح مسلم، 6/480. وانظر: فتح الباري لابن حجر، 3/153-160 وشرح النووي، 6/482-486.

(6) متفق عليه: كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، برقم 1304، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، برقم 924.

(7) فتح الباري لابن حجر، 3/175.

(8) متفق عليه، البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: ((يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه))، برقم 1284، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، برقم 923.

(9) البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: ((يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه))، برقم 1285.

الأمر الثاني: العلم بتكفيرها للسيئات وحفظها كما تحفظ الشجرة ورقها⁽¹⁾.
 الأمر الثالث: الإيمان بالقدر السابق بها، وأنها مقدره في أم الكتاب كما تقدم.
 الأمر الرابع: معرفة حق الله في تلك البلوى، فعليه الصبر والرضا، والحمد والاسترجاع والاحتساب.
 الأمر الخامس: أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختارها وقسمها، وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضي له به سيده ومولاه، فإن لم يوف قدر المقام حقه فهو لضعفه، فليُنزل إلى مقام الصبر عليها، فإن نزل عنه نزل إلى مقام الظلم وتعدي الحق.

الأمر السادس: العلم بترتبها عليه بذنبه، فإن لم يكن له ذنب كالأنبياء والرسل لرفع درجاته.
 الأمر السابع: أن يعلم أن هذه المصيبة دواء نافع ساقه إليه العليم بمصلحته، الرحيم به، فليصبر ولا يسخط ولا يشكو إلى غير الله فيذهب نفعه باطلاً.

الأمر الثامن: أن يعلم أن عاقبة هذا الدواء: من الشفاء والعافية والصحة وزوال الآلام ما لم تحصل بدونه، قال الله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾.

وقال: ﴿يَعْلَمُ أَنَّ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾⁽³⁾.

الأمر التاسع: أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله، وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه، فيتبين حينئذ: هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا؟ وفضل الله يؤتیه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.
 الأمر العاشر: أن يعلم أن الله يربي عبده على السراء والضراء، والنعمة والبلاء، فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال⁽⁴⁾.

الأمر الحادي عشر: معرفة طبيعة الحياة الدنيا على حقيقتها؛ فهي ليست جنة نعيم ولا دار مقام، إنما ممر ابتلاء وتكليف؛ لذلك فالكَيْسُ الفطن لا يفجأ بكوارثها، ولله دَرُّ القائل:

إن لله عبـاداً فُظنـا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
 نظروا فيها فلمّا علموا أنها ليست لحيّ وطنا
 جعلوها لُجَّةً واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

فالحياة الدنيا لا تستقيم على حال، ولا يقر لها قرار، فيوم لك، ويوم آخر عليك، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ
 فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ
 وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾⁽⁵⁾.

وقد أحسن أبو البقاء الرندي القائل:

لكل شيء إذا ما تمَّ نُقصان فلا يُغرَّ بطيب العيش إنسان
 هي الأيام كما شاهدتها دول فمن سرّه زمنٌ ساءته أزمان⁽⁶⁾

(1) تقدمت الأدلة على ذلك في الفقرة رقم 25.

(2) سورة البقرة، الآية: 216.

(3) سورة النساء، الآية: 19.

(4) طريق المهجرتين وباب السعادتین لابن القيم، ص 448-459، وانظر: زاد المعاد، 4/188-196، وعدة الصابرين لابن القيم، ص 76-

86.

(5) سورة آل عمران، الآية: 140.

(6) هكذا نُقل عند البعض، ولكن للإمام البستي في نونيته نحو هذا قال رحمه الله:

الأمر الثاني عشر: معرفة الإنسان نفسه؛ فإن الله هو الذي منح الإنسان الحياة فخلقه من عدم إلى وجود، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فهو ملك لله أولاً وآخرًا، وصدق لبيد بن ربيعة رضي الله عنه القائل:

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بُدَّ يومًا أن ترد الودائع

الأمر الثالث عشر: اليقين بالفرج، فنصر الله قريب من المحسنين، وبعد الضيق سعة، ومع العسر يسرًا؛ لأن الله وعد بهذا، ولا يخلف الميعاد، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽¹⁾. وقد أحسن القائل:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعًا وعند الله منها المخرجُ

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرجُ

وقد وعد الله ﷻ بحسن العوض عما فات؛ فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾⁽²⁾.

ولله دَرُّ القائل:

وكل كسرٍ فإن الله يجبره وما لكسرٍ قناة الدين جبران⁽³⁾

الأمر الرابع عشر: الاستعانة بالله، فما على العبد إلا أن يستعين بربه أن يعينه، ويجبر مصيبته، قال تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽⁴⁾، ومن كانت معية الله معه فهو حقيق أن يتحمل ويصبر على الأذى.

الأمر الخامس عشر: التأسي بأهل الصبر والعزائم، فالتأمل في سير الصابرين وما لاقوه من ألوان الابتلاء والشدائد يعين على الصبر، ويطفئ نار المصيبة ببرد التأسي، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾⁽⁵⁾.

الأمر السادس عشر: استصغار المصيبة، قال النبي ﷺ: ((يا أيها الناس أيما أحدٍ من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري؛ فإن أحدًا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشدَّ عليه من مصيبي))⁽⁶⁾.

لا تحسبن سرورًا دائمًا أبدًا من سره زمن ساءته أزمان

انظر: الجامع للمتون العلمية، للشيخ عبد الله بن محمد الشمراني، ص 625.

(1) سورة هود، الآية: 49.

(2) سورة النحل، الآيتان: 41 - 42.

(3) هكذا سمعته من الشيخ محمد بن حسن الدرعي، يقول: إنه كتبه له بعض أصدقائه عندما انكسرت رجله، ولكن البيت في نونية علي بن محمد البستي هكذا:

كل الذنوب فإن الله يغفرها إن شيع المرء إخلاص وإيمان

وكل كسر— فإن الدين يجبره وما لكسر— قناة الدين جبران

انظر: الجامع للمتون العلمية، للشيخ عبد الله بن محمد الشمراني، ص 626.

(4) سورة الأعراف، الآية: 128.

(5) سورة الأحقاف، الآية: 35.

(6) ابن ماجه، واللفظ له، في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة، برقم 1599، والدارمي، 40/1، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 1106.

وكتب بعض العقلاء إلى أخ له يعزيه عن ابن له يقال له: محمد، فنظم الحديث الأنف شعراً فقال:
 اصبر لكل مصيبة وتجلد
 واعلم بأن المرء غير مخلد⁽¹⁾
 وإذا ذكرت محمداً ومصابه
 فاذكر مصابك بالنبي محمد
 الأمر السابع عشر: العلم أن المصيبة في غير الدين أهون وأيسر عند المؤمن، والله ذر القائل:
 وكل كسرٍ - فإن الله يجبره
 وما لكسر - قناة الدين جبران
 وذكر أن امرأة من العرب مرت بابنين لها وقد قتلوا، فقالت: الحمد لله رب العالمين، ثم قالت:
 وكل بلوى تصيب المرء عافية
 ما يُصب يوماً يلقي الله في النار⁽²⁾

الأمر الثامن عشر: العلم بأن الدنيا فانية وزائلة، وكل ما فيها يتغير ويزول؛ لأنها إلى الآخرة طريق، وهي مزرعة للآخرة على التحقيق، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة:

أما الأدلة من الكتاب، فعلى النحو الآتي:

- 1- قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِيُؤْتِيَهُمْ آبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ * وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽³⁾.
- 2- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽⁴⁾.
- 3- وقال ﷺ: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾⁽⁵⁾.
- 4- وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾⁽⁶⁾.
- 5- وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽⁷⁾.
- 6- وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾⁽⁸⁾.
- 7- وقال الله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾⁽⁹⁾.
- 8- وقال سبحانه: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾⁽¹⁰⁾.

(1) انظر: مقومات الداعية الناجح، للمؤلف، ص 260-279.

(2) برد الأكابر عند فقد الأولاد؛ لابن ناصر الدين، ص 61.

(3) سورة الزخرف، الآيات: 33 - 35.

(4) سورة يونس، الآية: 24.

(5) سورة الكهف، الآية: 45.

(6) سورة القصص، الآية: 60.

(7) سورة القصص، الآية: 83.

(8) سورة القصص، الآية: 88.

(9) سورة الشورى، الآية: 36.

(10) سورة الأنعام، الآية: 32.

- 9- وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾.
- 10- وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾⁽²⁾.
- 11- وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنَ عَلَيَّهَا فَاِنٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾⁽³⁾.
- 12- وقال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾⁽⁴⁾.

وأما الأدلة من السنة المطهرة، فقد زهد النبي ﷺ النَّاس في الدنيا، ورغبهم في الآخرة، بفعله وقوله ﷺ، على النحو الآتي.

- 1- أما فعله فمنه حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ((خرج النبي ﷺ ولم يشبع من خبز الشعير))⁽⁵⁾.
- 2- وقالت: ((ما أكل آل محمد أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر))⁽⁶⁾.
- 3- وقالت: ((إنا كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار، فقال عروة: ما كان يقيتكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء))⁽⁷⁾.
- 4- وقال ﷺ: ((لو كان لي مثل أحد ذهباً ما يسرني أن لا يمر عليّ ثلاثٌ وعندي منه شيء إلا شيء أرضدُهُ لَدَيْنِ))⁽⁸⁾.
- 5- وقد ثبت عنه ﷺ أنه اضطلع على حصير فأثر في جنبه، فدخل عليه عمر بن الخطاب ﷺ، ولما استيقظ جعل يمسح جنبه فقال: يا رسول الله لو أخذت فراشاً أوثر من هذا؟ فقال ﷺ: ((ما لي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكبٍ سار في يومٍ صائفٍ فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها))⁽⁹⁾.
- 6- وقال أبو هريرة ﷺ: ((ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام حتى قبض))⁽¹⁰⁾. والمقصود أنهم لم يشبعوا ثلاثة أيام متوالية، والظاهر أن سبب عدم شبعهم غالباً كان بسبب قلة الشيء عندهم، على أنهم قد يجدون ولكن يؤثرون على أنفسهم⁽¹¹⁾.
- 7- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان فراش رسول الله ﷺ من آدم وحشوه ليف))⁽¹²⁾.
- 8- ومع هذا كان يقول ﷺ: ((اللَّهُمَّ اجعل رزق آل محمد قوتاً))⁽¹⁾.

(1) سورة العنكبوت، الآية: 64.

(2) سورة الحديد، الآية: 20.

(3) سورة الرحمن، الآيتان: 36-37.

(4) سورة غافر، الآية: 39.

(5) البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون، برقم 5414.

(6) البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخليهم عن الدنيا، برقم 6455.

(7) البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخليهم عن الدنيا، برقم 6459.

(8) متفق عليه: البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون، والحجر والتفليس، باب أداء الديون، برقم 2389، ومسلم، كتاب الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة، برقم 991.

(9) أحمد في المسند، 301/1 بلفظه، والترمذي بنحوه، في كتاب الزهد، باب 44، برقم 1377، وقال: ((حديث حسن صحيح))، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، برقم 4109، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، 280/2، وصحيح ابن ماجه، 394/2.

(10) البخاري، كتاب الأطعمة، باب قول الله تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ الآية، برقم 5374.

(11) انظر: فتح الباري لابن حجر، 517/9، 549.

(12) البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، برقم 6456.

- 9- وقال ﷺ: ((قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وفتح الله بما آتاه))⁽²⁾.
وأما قوله في التزهيد في الدنيا والتحذير من الاغترار بها، فكثير، ومنه:
- 10- حديث مطرف عن أبيه ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ قال: ((يقول ابن آدم: مالي، مالي، وهل لك من مالك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت))⁽³⁾.
- 11- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((يقول العبد: مالي مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فافتنى، [و] ما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه الناس))⁽⁴⁾.
- 12- وقال النبي ﷺ مرة لأصحابه: ((أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله))؟ قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه. قال: ((فإن ماله ما قدّم، ومال وارثه ما أخر))⁽⁵⁾.
- 13- ودخل النبي ﷺ السوق يوماً فمرّ بجدي صغير الأذنين ميت، فأخذه بأذنه ثم قال: ((أيكم يحب أن هذا له بدرهم))؟ قالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: ((أتحبون أنه لكم))؟ قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه؛ لأنه أسك⁽⁶⁾، فكيف وهو ميت؟ فقال: ((فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم))⁽⁷⁾.
- 14- وعن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء))⁽⁸⁾.
- والدنيا مذمومة إذا لم تستخدم في طاعة الله ﷻ:
- 15- فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما والاه، وعالم، أو متعلم))⁽⁹⁾، وهذا يؤكد أن الدنيا مذمومة، مبعوضة من الله وما فيها، مبعدة من رحمة الله إلا ما كان طاعة لله ﷻ؛ وهوانها على الله ﷻ لم يبلغ رسوله ﷺ فيها وهو أحب الخلق إليه.
- 16- فقد مات ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير⁽¹⁰⁾.
- وقوله: ((وما والاه)) أي ما يحبه الله من أعمال البر، وأفعال القرب، وهذا يحتوي على جميع الخيرات، والفاضلات، ومستحسنات الشرع، وقوله: ((وعالم أو متعلم)) العالم والمتعلم: العلماء بالله، الجامعون بين العلم

(1) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، برقم 6460، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة، واللفظ له، برقم 1055.

(2) مسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة، برقم 1054.

(3) مسلم، كتاب الزهد والرفائق، برقم 2958.

(4) مسلم، كتاب الزهد والرفائق، برقم 2959.

(5) البخاري، كتاب الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له، برقم 6442.

(6) الأسك: مصطم الأذنين مقطوعهما.

(7) مسلم، كتاب الزهد والرفائق، برقم 2957.

(8) ابن ماجه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، برقم 4110، والترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ﷻ، وقال: ((هذا حديث صحيح))، برقم 2320، وابن المبارك في الزهد والرفائق، عن رجال من أصحاب النبي ﷺ، برقم 470، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 943، وفي صحيح الترغيب والترهيب، برقم 3240.

(9) الترمذي، بلفظه، كتاب الزهد، باب: حدثنا محمد بن حاتم، برقم 2322، وحسنه، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، برقم 4112، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم 3244.

(10) انظر: البخاري، كتاب البيوع، باب شراء الطعام إلى أجل، برقم 2200، ومسلم، كتاب المساقاة، باب الرهن وجوازه في الحضر والسفر، برقم 1603.

والعمل، فيخرج منه الجهلاء، والعالم الذي لم يعمل بعلمه، ومن يعلم علم الفضول، وما لا يتعلق بالدين. والرفع في ((عالم أو متعلم)) على التأويل: كأنه قيل: الدنيا مذمومة لا يحمّد مما فيها ((إلا ذكر الله وما والاه، وعالم أو متعلم))⁽¹⁾، فإذا رأى العاقل من ينافسه في الدنيا فعليه أن ينصحه ويحدّره وينافسه في الآخرة⁽²⁾.

17- وفي قصة أبي عبيدة رضي الله عنه عندما قدم بمال من البحرين فجاءت الأنصار وحضروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح، فلما صلى بهم الفجر، تعرّضوا له، فتبسّم حين رآهم وقال: ((أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء))؟ قالوا: أجل يا رسول الله، قال: ((فأبشروا، وأمّلوا ما يسركم، فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم))، وفي رواية: ((وتلهيكم كما أهلتهم))⁽³⁾.

18- وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض))، قيل: وما بركات الأرض؟ قال: ((زهرة الدنيا))، ثم قال: ((إن هذا المال خَصْرَةٌ حلوة، من أخذه بحقه ووضعها في حقه فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع [ويكون عليه شهيداً يوم القيامة])⁽⁴⁾.

19- وقال خَبَّابٌ رضي الله عنه: ((إن المسلم يؤجر في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب))⁽⁵⁾. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((أي الذي يوضع في البنيان وهو محمول على ما زاد على الحاجة))⁽⁶⁾. وذكر رحمه الله آثاراً كثيرة في ذمّ البنيان ثم قال: ((وهذا كله محمول على ما لا تمسّ الحاجة إليه مما لا بدّ منه للتوطن، وما يقي البرد والحرّ))⁽⁷⁾. والمسلم إذا لم يجعل الدنيا أكبر همه وفقه الله وأعانه.

20- فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يقول ربكم تبارك وتعالى: يا ابن آدم تفرّغ لعبادتي أملأ قلبك غنى، وأملأ يديك رزقاً، يا ابن آدم لا تباعد عني فأملأ قلبك فقراً، وأملأ يديك شغلاً))⁽⁸⁾.

21- وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرّغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسدّ فقرك، وإن لم تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم أسدّ فقرك))⁽⁹⁾. قال ذلك عندما تلا: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ

(1) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، 3284/10 - 3285، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري، 31/9، وتحفة الأحمدي للمباركفوري، 613/6.

(2) فقه الدعوة للمؤلف، 1007/2.

(3) متفق عليه: البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، برقم 3158، 4015، 6425، ومسلم، كتاب الزهد والرفائق، برقم 2961.

(4) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، برقم 6427، ومسلم، كتاب الزكاة، باب نخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، برقم 1052، وما بين المعقوفين من رواية مسلم.

(5) متفق عليه: البخاري، كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، برقم 5672، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، برقم 2681.

(6) فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، 129/10.

(7) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، 93/11، و129/10.

(8) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، 326/4، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ((وهو كما قالنا))، وصححه في صحيح الترغيب والترهيب، برقم 3165.

(9) الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب حدثنا قتيبة، برقم 2466، وحسنه، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، برقم 4108، وأحمد، 358/2، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، 443/2، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم 3166، وفي سلسلة

حَرَتْ الآخِرَةَ⁽¹⁾.

ولا شك أن كل عمل صالح يُبتغى به وجه الله فهو عبادة، بل وحتى الأعمال المباحة.
22- وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من كانت الدنيا همه ففرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتبت له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة))⁽²⁾.

23- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه؛ جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له))⁽³⁾.

24- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من أحب دنياه أضرب آخريته، ومن أحب آخريته أضرب دنياه، فأثروا ما يبقى على ما يفنى))⁽⁴⁾.

25- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه لما حضرته الوفاة قال: يا معشر الأشعريين ليبلغ الشاهد الغائب، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((حلاوة الدنيا مرة الآخرة، ومرة الدنيا حلاوة الآخرة))⁽⁵⁾.

الأمر التاسع عشر: العلم بأن الله تعالى يجمع بين المؤمن وذريته، ووالديه وأهله، ومن يجب في الجنة، وهذا الاجتماع الذي لا فراق بعده لقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾⁽⁶⁾، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((يخبر تعالى عن فضله وكرمه، وامتنانه، ولطفه بخلقه، وإحسانه: أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذريتهم في الإيمان يلحقهم بأبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم؛ لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته، للتساوي بينه وبين ذلك))⁽⁷⁾. وهذا فضله تعالى على الأولاد ببركة عمل الآباء، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأولاد فثبت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أتى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك))⁽⁸⁾.

قال العلامة السعدي رحمه الله: ((وهذا من تمام نعيم أهل الجنة أن ألحق الله بهم ذريتهم الذين اتبعوهم بإيمان: أي الذين لحقوهم بالإيمان الصادر من آبائهم فصارت الذرية تبعاً لهم بالإيمان، ومن باب أولى إذا تبعتهم ذريتهم بإيمانهم الصادر منهم أنفسهم، فهؤلاء المذكورون يلحقهم الله بمنزل آبائهم في الجنة، وإن لم يبلغوها، جزاء لآبائهم، وزيادة في

الأحاديث الصحيحة، 346/3، وفي صحيح الترمذي، 593/2.

(1) سورة الشورى، الآية: 20.

(2) ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، برقم 4105، وصح الألباني إسناده في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 950، وصحيح الجامع، 351/5.

(3) الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب: حدثنا سويد، برقم 2465، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، 593/2، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم 949 - 950.

(4) أحمد، 412/4، وابن حبان، برقم 709، والحاكم، 319/4، قال الإمام المنذري في الترغيب والترهيب، برقم 4744: ((رواه أحمد ورواته ثقات)). وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب على الحديث رقم 3247: ((صحيح لغيره))، وذكر له شاهداً في الأحاديث الصحيحة، برقم 3287.

(5) الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، 310/4، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم 3248.

(6) سورة الطور، الآية: 21.

(7) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص 1268، 243/4.

(8) أخرجه أحمد في المسند، 209/2، قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: ((إسناده صحيح)).

ثوابهم، ومع ذلك لا ينقص الله الآباء من أعمالهم شيئاً⁽¹⁾. وهذا هو الفوز العظيم.
نسأل الله تعالى أن يجمعنا في الفردوس الأعلى مع آبائنا، وذريّاتنا، وأزواجنا، وجميع أهلينا وأحبابنا في الله تعالى؛ إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

ولا شك أن من فارق ذريّته وأهله، وأحابه في الآخرة فقد خسر خسراناً مبيئاً، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾⁽²⁾ أي تفارقوا فلا التقاء لهم أبداً، وسواء ذهب أهلوههم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار، أو أن الجميع أسكنوا النار، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور، وهذا هو الخسران المبين الظاهر الواضح⁽³⁾.

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَبِئٍ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾⁽⁴⁾، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((أي ذهب بهم إلى النار فعدموا لذتهم في دار الأبد، وخسروا أنفسهم، وفرّق بينهم وبين أحبّابهم، وأصحابهم، وأهاليهم، وقراباتهم فخسروهم))⁽⁵⁾.

وقد ذكّر أن بعض الصالحين مات له ابن فجزع عليه جزعاً شديداً، حتى امتنع من الطعام والشراب، فبلغ ذلك الإمام محمد بن إدريس الشافعي، فكتب إليه ومما كتب إليه:

إني معزّيكَ لا أتي على ثقةٍ من الحياة ولكن سنة الدين

فما المعزّي بباقي بعد ميته ولا المعزّي ولو عاش إلى حين⁽⁶⁾

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سعيد بن علي بن وهف القحطاني

ليلة الأحد 4/10/1429هـ

(1) تيسير الكريم الرحمن، للعلامة السعدي، ص 815، وانظر: تفسير الطبري، 22/467-470، وتفسير البغوي، 4/238.

(2) سورة الزمر، الآية: 15.

(3) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص 1151.

(4) سورة الشورى، الآيتان: 44-45.

(5) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص 1194.

(6) برد الأكباد عند فقد الأولد، لابن ناصر الدين، ص 67.